اغلاط العرب

يذهب بعض الناس الى ان العرب معصومةٌ في ألسنتها لايجوز عليها ما يجوز على المولَّد من الخطأ والوَهَم وأن كل ما نطق بهِ البدويّ ينبغي ان يُتَّخذ سُنّةً يتابَع عليها من غير بحثٍ ولا انتقاد لان لسانهُ لايجري الاّ بالصواب ولا يقع الا على الصحّة . ولا يخفى ما في هذا القول من الخُرق والغلوّ لأنا لا نعلم وجهاً يعصم البدويّ عمّا رُكّب في طبائع سائر البشر من قبول السهو والشطط فضلاً عن كونهِ ادنى من غيرهِ الى الوهم لانهُ كان ينطق عن السليقة المحضة ولم يكن لهُ من القوانين الصناعية ما يردّهُ الى الصواب اذا شذّ عنهُ . وانت خبيرٌ بان اللغة لم تُنقَل الينا منقحةً مصححةً ولا سبق للذين أُخذت عنهم ان اجتمعوا على ضبطها وتحريرها وازالة ما فيها من مواضع الشبهات والمغالط ولكنها نُقلت الينا كما جرت على ألسنة المتكلمين بها حتى العجائز والصبيان فضلاً عن الخطبآء والشعرآء بل لو لم يكن فيما نُقلت عنهُ الا الشعر وهو اوسع مصادرها واليهِ معظم شواهدها لكفى ان تكون مظنةً للشذوذ والخطأ لما هو معلوم من امر الشعر وما يعرض فيهِ من الضرورات التي تقضي على الشاعر ان يعدل عن السنَن المألوف في لسانهِ لاقامة الوزن او القافية

بلى لا تُنكَر مزية العربيّ على المولد في انهُ هو واضع اللغة وان المولد مقلدهُ فيها وانهُ ما دام منتحلاً لهذه اللغة فهو مقيَّد بمتابعة الواضع وكل ما خالفهُ فيهِ لم يُعَدّ من اللغة التي انتحلها وهذا امرٌ لا سبيل الى انكارهِ

ولا جدال فيهِ . غير أن هذه المزية للعربيّ على المولد انما هي في وضع الفاظ اللغة وسَنّ احكامها وضوابطها لانهُ هو السابق اليها فليس لمن جآء بعدهُ ان ينازعهُ في ذلك ولا ان ينقض حكماً بناهُ ولا سيما بعد ان ختُم على اللغة بخاتم القرآن والسنّة وتعيَّن الجري فيها على ما انتهت اليهِ زمن التنزيل والنطق بالاحاديث النبوية واما في استعمال الالفاظ والاحكام الموضوعة فالعربيّ وغيرهُ سوآء ليس للعربيّ ان يخالف قوانين لغتهِ كما انهُ ليس للمولد ان يجري على غير ما تقلدهُ عنهُ وبهذا ميز علمآء الادب بين مطرَّد اللغة وشاذّها وفصيحها وركيكها ونبهوا على المذاهب الضعيفة في النحو وغيرهِ بل نقضوا اقوال بعض العرب انفسهم وحكموا بخطأها لم يقبلوا لهم فيها عثاراً ولا سوّغوا القياس عليها فضلاً عن اتخاذها حُجّةً . وقد عقد السيوطيّ في المزهر باباً في معرفة اغلاط العرب نقل فيهِ عن ابن جنّي وابن فارس وابن دُرَيد وغيرهم ونحن نورد هنا شيئاً من هذا الباب ثم نردفهُ بما اتفق لنا الوقوع عليهِ من اغلاطهم مما لا يخلو من فائدةٍ وتبصرة للمطالع

قال ابن جنّي فيما نقل عنهُ السيوطيّ بعد العنوان المذكور كان ابوعليٍّ يرى وجه ذلك ويقول انما دخل هذا النحو كلامهم لانهم ليست لهم اصولٌ يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون بهِ فربما استهواهم الشيء فزاغوا بهِ عن القصد فمن ذلك ما انشدهُ ثعلب

غدا مالكٌ يرمي نسآئي كانما　　نسآئي لسهميْ مالكٍ غرَضانِ

فيا ربِّ فاترك لي جهيمةَ اعصراً　　فمالكُ موتٍ بالقضآء دهاني

قال هذا رجلٌ مات نسآؤهُ شيئاً فشيئاً فتظلم من ملَك الموت وحقيقة لفظهِ

غلطٌ وفاسد وذلك ان هذا الأعرابي لما سمعهم يقولون ملَك الموت وكثر ذلك في الكلام سبق اليهِ ان هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عندهُ كانها فعَلٌ لان ملَكاً في اللفظ في صورة فَلَك وحلَك فبنى منها فاعلاً فقال مالك موتٍ وانما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل مافل كما ان ملَكاً على التحقيق مفَل واصلهُ ملأك الى آخر ما قالهُ هنا واشبع القول فيهِ . ثم قال ومن ذلك همزهم مصائب وهو غلط منهم وذلك انهم شبهوا مصيبة بصحيفة فكما همزوا صحائف همزوا ايضاً مصائب وليست يآء مصيبة بزائدة كيآء صحيفة ولكنها عينٌ عن واو وهي العين الاصلية واصلها مُصْوِبة . ثم عدّ من ذلك اشيآء منها قولهم حلّأت السويق ورثأت الميت واستلأمت الحجر ولبّأت بالحجّ (اي بالهمز في ذلك كله يريدون حلَّيت السويق ورثيت الميت واستلمت الحجر ولبَّيت بالحج) . قال ومن أغلاطهم ما يتعايون بهِ في الالفاظ والمعاني نحو قول ذي الرمّة «والجيد من ادمانةٍ عتودُ» (كذا) وانما يقال هي ادمآء والرجل آدَم ولا يقال ادمانة كما لا يقال حمرانة وصفرانة وقال

حتى اذا دوّمَت في الارض راجعها كبرٌ ولو شآء نجّى نفسهُ الهربُ

وانما يقال دوّى في الارض ودوّم في السمآء . وقال ابن فارس في فقه اللغة ما جعل الله الشعرآء معصومين يوقّون الغلط والخطأ فما صحّ من شعرهم فمقبول وما ابتهُ العربية واصولها فمردود كقولهِ « الم يأتيك والانبآء تنمى » وقولهِ « لما جفا اخوانهُ مُصعَباً » وقولهِ « قفا عند مماّ تعرفان ربوع[1] »

(١) اي قفا عند ربوعٍ مما تعرفان وهو من الغلط التركيبي ومثلهُ قول الآخر

فكلهُ غلطٌ وخطأ . وقال ابن دُرَيد في اواخر الجمهرة باب ما أجروهُ على الغلط فجآءوا بهِ في اشعارهم قال الشاعر (النابغة)

وكلُّ صمُوتٍ نثلةٍ تُبَّعيةٍ ونسجُ سُلَيمٍ كلُّ قضّآءَ ذائلِ

اراد سليمان . وقال آخر « من نسج داودَ ابي سلاّمِ » يريد سليمان ايضاً ومثلهُ قول الآخر « جدلآء محكمةٌ من نسج سلاّمِ » . وقال آخر

برّيةٌ لم تأكل المرقّقا ولم تذق من البقول الفستقا

فظن ان الفستق بقل . وقال رؤبة

هل يُنجيَنّي حَلِفٌ سِختيتُ او فضةٌ او ذهبٌ كبريتُ

قال وهذا مما غلط فيهِ رؤبة فجعل الكبريت ذهباً . انتهى المنقول عن المزهر باختصار وقد بقي اشياء كثيرة اضربنا عنها لطولها والكتاب مطبوع فمن احبّ الوقوف عليها فليطالعها هناك

لها مقلتا حورآء ترعى خميلةً من الوحش ما تنفك طُلّ عرارُها

اراد لها مقلتا حورآء من الوحش ما تنفك ترعى خميلةً طلّ عرارُها . وقول الآخر

فقد والشكّ بين لي عناءٌ بوشك فراقهم صردٌ يصيحُ

اي فقد بين لي صردٌ يصيح بوشك فراقهم والشك عناءٌ . وقول الآخر

فاصبحت بعد خطّ بهجتِها كأنّ قفراً رسومها قلما

اراد فاصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسومها . ومن هذا بيت الفرزدق الذي يستشهد بهِ البيانيون في الكلام على التعقيد وهو قولهُ

وما مثلهُ في الناس الا مملكاً ابو امهِ حيٌّ ابوهُ يقاربه

اي وما مثلهُ في الناس حيّ يقاربهُ الا مملكاً ابو امهِ اي ابو ام ذلك المملك ابوهُ . على ان مثل هذا ان قصد به المعاياة فليس من هذا الباب غير انهُ على كل حالٍ مستهجن اذ لا نكتة فيهِ

قلنا ومن الالفاظ التي اخطأوا في معانيها قول خالد بن زهير

وقاسمهَا بالله جهداً لأنتمُ الذُّ من السلوى اذا ما نشورُها

اراد بالسلوى العسل ونشورها مضارع شار العسل اذا جناهُ . قال في لسان العرب قال الزجّاج اخطأ خالد انما السلوى طائرٌ ثم قال قال الفارسي السلوى كل ما سلاّك وقيل للعسل سلوى لانهُ يسليك بحلاوتهِ .. يردّ بذلك على الزجاج اه . قلنا وهذا ولا جرم احدى مزالق اللغة ودواعي فسادها واذا كانت السلوى لا تُعرَف عند العربِ بمعنى العسل فما الداعي الى زيادة هذا المعنى فيها حال كونهِ غير متيقَّن ولم يُسمَع الا في هذا البيت واي ضررٍ من القول بان هذا الشاعر قد غلط . ومن هذا القبيل قول العجّاج

بل بلدٍ مثل الفجاج قُتُمهْ لا يُشترَى كتانهُ وجهرَمهْ

قال الوزير ابو بكر في شرح ديوان امرئ القيس غلط العجاج في الجهرم ظن انها ثياب وهي بلدٌ بفارس اه . وتمحل لهُ صاحب لسان العرب بانهُ على اسقاط يآء النسبة اي انهُ اراد وجهرميٌّ على جعل الجهرميّ اسم جنس للثياب الجهرميّة وهي المنسوبة الى هذا البلد وفيهِ تعسفٌ لا يخفى ثم نقل عن الزيادي عن ابن برّي انهُ قد يقال للبساط نفسهِ جهرم وما نظن الزيادي بنى قولهُ الا على هذا البيت كما بنى صاحب لسان العرب تفسير الكبريت بالذهب الاحمر على قول رؤبة المتقدم على انهُ صرّح هناك بتغليط رؤبة عن ابن الأعرابي . قال ابن جنّي وقد حُكي عن رؤبة وابيهِ يعني العجّاج انهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سُبقا اليها . اه . ومن ذلك قول امرئ القيس في معلقتهِ

فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمها　　لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

فاعل نسجتها ضمير الريح استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة القرينة وقولهُ من جنوبٍ وشمأل بيان للريح . وفيهِ ان النسج انما يكون بين الريحين المتعارضتين كالجَنُوب والدَبُور مثلاً تشبَّه آثار احداهما بالسدى وآثار الاخرى باللُحمة قال في القاموس ونسجُ الريح الربع ان يتعاورهُ ريحان طولاً وعرضاً . اه . والجنوب والشمأل لا تنسجان لانهما متناوحتان اي متقابلتان وهو ظاهر . قلنا ووقوع هذا الغلط من امرئ القيس في منتهى العجب على ان كل من روى معلقتهُ روى هذه اللفظة هكذا ولم نجد في شراح المعلقات ولا شرّاح الديوان من تعرّض لها وهو اعجب . والذي عندنا ان في الرواية تصحيفاً ولعلّ الصواب نسختها بالخآء المعجمة من قولهم نسخت الريح آثار الديار اذا غيرتها كما في لسان العرب　والله اعلم

(ستأتي البقية)

استخدام الهوآء السائل

تقدم لنا في بعض اجزآء السنة الاولى كلامٌ عن الهوآء السائل وطريقتهم في تسييلهِ وذكرنا شيئاً من خصائصهِ وامتحاناتهم فيهِ بما لا يعدو الفكاهة والاختبار الا انهم لم يستخدموهُ في شيء من المنافع الا في هذه الايام لانهُ كان يقتضي في تسييلهِ نفقات فاحشة حتى قيل ان وزن الرطل المصري منهُ لم يكن يسيَّل بأقل من نفقة ألف جناي . وقد اسلفنا هناك ان أعلى درجةٍ يبقى فيها على سيلانهِ هي درجة ١٩١ من السنتغراد واذا